دور القنوات الفضائية في طمس الهوية العربية

بقلم الدكتور سامي المجبري

إن الحضارة والتطور أمران لا غنى لنا عنهما, فلكل منهما قواعده وأسسه, وكلاهما مرتبط بالآخر, وقد أصبح يجمعنا بهما رباط وثيق, لأنهما قد صارتا لغتي العصر, ومن ثم يتعين علينا أن نتفحص مفاهيمهما, حتى يتسنى لنا مخاطبة العالم من خلالهما, وتوضيح وجهة نظرنا, وإعطاء صورة صحيحة وواضحة عن حضارتنا, ودیننا, ومبادئنا, وسلوكنا, وثقافتنا, وطبعاً لا يتأتى لنا ذلك إلا من خلال وسيلتين ألا وهما:

(1) شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت).

(2) الفضائيات العربية.

فيما يخص الأولى, فأني لا أعتقد أنه لم تعد هناك دولة عربية لا تتعامل إدارتها أو مؤسساتها أو مواطنيها مع شبكة المعلومات, لما يتيح للجميع التعرف إلى مفاهيم العصر الحديث, وبذات الوقت يمكنها من:

(1) مخاطبة العالم.

(2) نشر حضارتها وثقافتها من خلاله.

أما الثانية فهي الفضائيات العربية وهي صلب حديثنا, إذ أصبحت جميعها تتسابق وتتصارع على احتكار المشاهد, وسلب لبه, مستخدمة في ذلك كل الوسائل المشروعة وغير المشروعة لاجتذابه والهيمنة على فكره وعقله, متناسية بذلك ديننا, وعاداتنا وتقاليدنا, وحضارتنا, فقد باتت تصدر لنا ثقافة هشة, خالية من المضمون وغريبة أيضا عن مفاهيمنا وثقافتنا. مصدرة لنا ثقافة ربما يراها بعضهم انفتاحا على العالم المتحضر, ذلك العالم بكل ما فيه من مزايا وعيوب, ذلك العالم الذي بني على تاريخ وحضارة وثقافة ومعرفة العرب في شتى أنواع العلوم, والتي جاء من خلالها هذا التطور العلمي والتكنولوجي الهائل, والتي أوصلت الغرب إلى القمر.

ونحن بدورنا تركنا هذا التطور وتمسكنا بتقليدهم في أخلاقهم وأسلوبهم في الحياة من مأكل وملبس وحتى عاداتهم في الاحتفال بالزواج, وبالسنة الميلادية المسيحية, والاحتفال بأعياد الميلاد والحب وغيرها.

معتبرين أن سلوك حياتهم هذه جميلة ورائعة, تاركين بذلك حقنا في استرداد ما سلبوه منا من حضارة وعلم, فقد أصبح ما يهمنا من هذا العالم هو شكله ومظهره الخارجي, دون أن نلتفت إلى مضمونه الداخلي, ولكن هل سألنا أنفسنا عن مفهوم ،،العالم المتحضر؟،، وعن أشكاله وصوره, وهل هناك جدوى حقيقة من معرفتنا له؟ تساؤلات تدور في أذهان بعض منا دون أن نجد إجابة شافية لها.

فمن وجهة نظري التي ربما لا تروق بعضهم, والتي أراها قد تشارك في تفسير جزئي لمفهوم (العالم المتحضر) بشكل تقريبي ومختصر, وهي كما يلي:

(هو تطور علمي وتقني وثورة كبرى في المعلومات الرقمية حدثت في عصرنا نتجت عنها حضارة تفرض معاييرها الجديدة على واقعنا المعيش بشكل يخدم مصالح الكبار).

ولا بد لنا أن نتعامل معها, ولكن على وفق عاداتنا وتقاليدنا وديننا, فثقافة الفضائيات العربية الهشة, تنقسم على قسمين:

أولا:-المسلسلات الأجنبية المدبلجة إلى العربية تارة, والعامية تارة أخرى, والتي تحمل في طيها ثقافة المنشأ, وعادته وأسلوب حياته.

والتي أثرت بشكل كبير في أسرنا العربية, وبالأخص شبابنا وفتياتنا, فهي باختصار أورثتهم ثلاثة مفاهيم:

(1) إباحية الصداقة والحب بين الشباب والبنات.

(2) الملابس.

(3) أسلوب المحادثة بين الكل بشكل عام.

ولكن دعونا نتسأل:-(هل تلك الدول التي نقوم نحن بدبلجة مسلسلاتها وعرضها على شعوبنا من مبدأ حوار الحضارات والتعرف إلى ثقافة الغير. قامت هي الأخرى بالمثل؟, بمعنى قامت بدبلجة مسلسلاتنا إلى لغتهم؟ أشك في ذلك؟.

ثانيا:-البرامج الإذاعية المرئية, التي يمكننا تصنيفها إلى صنفين:

(1) استنساخ برامج عربية على غرار تلك البرامج الأجنبية, بمعنى آخر, يتم إنتاج برامج صورة طبق الأصل عن برامج أجنبية تبث في قنوات أجنبية, مع العلم أنها أحيانا لا تتوافق مع عاداتنا وتقاليدنا وثقافتنا وديننا, والتي لها أشكال عدة فمنها مثلا تلك التي تجعل المواطن يلهث وراء الملايين التي تقدم كجوائز, والتي على استعداد أن تزنك ذهباً !!؟.

(2) برامج تعد نفسها مسلية للمواطن وتدعي أيضا مسؤوليتها الوطنية والثورية والقانونية على ما تقدمه لهذا المواطن.

عموما كل ما تقوم بتقديمه هذه الإذاعات الفضائية على وجه الخصوص سواء المسلسلات أو البرامج أغلبها يهدف إلى :

(1) محو الهوية العربية والإسلامية.

(2) إعطاء جرعة (فليوم) للمواطن العربي.

فهي بذلك تعمل على مؤازرة إسرائيل في تنفيذ وإنجاح خطتها الجهنمية للقضاء على العرب والإسلام من خلال هذه البرامج, وكذلك حتى ينسى أو يتناسى هذا المواطن كل قضاياه المصيرية وخصوصا قضية تحرير الأراضي المحتلة.

وينقسم المشاهد العربي على خمسة أقسام:

القسم الأول: مشاهد يلهث وراء المال والذهب والشهرة, وهو القسم الأكبر.

القسم الثاني: مشاهد تناسى أنه عربي الأصل أو مسلم الديانة باشتراكه في برامج يحرمها الدين, أو عادات وتقاليد المجتمع العربي. ومنها على سبيل المثال (الغناء والرقص).

القسم الثالث: مشاهد مخدر بذلك النوع الذي يجعله يضحك طوال الوقت لكي يبقى ذلك البركان الذي في صدره مُخمداً إلى الأبد, فما

يبدأ أن يتقد ويشتعل حتى يُخمد بانجرافه وراء الضحك, وهو لا يدري بأنه بات أضحوكة هذا العصر.

القسم الرابع: مشاهد يقف وقفة الأبله المتفرج الذي لا يعي خطورة الوضع الراهن للأمة العربية والإسلامية.

القسم الخامس والأخير: مشاهد يطالب وما زال بأن يستفيق العرب وأن يخلعوا من على أعينهم تلك النظارة السوداء حتى يروا حقيقة الوضع الذي نعيش فيه, وهم قلة.

وهذا كله يحدث في زمن التكتلات والفضاءات الكبرى, وزمن العملة الواحدة, زمن لا يعترف إلا بالأقوياء, يحدث في عالم مملوء بالحروب ..... والنزاعات.....والخلافات.....عالم يسيطر فيه القوي على مقدرات الضعيف, يحدث دون رقيب أو حسيب.

فهذه الإذاعات تقوم بترويج برامجها دون رقابة من أحد, وأعتقد أنه قد أصبح لزاما علينا أن نطرح هذه القضية وأن نناقش أبعادها وأن ننص لها قانونا يكون لها بالمرصاد, وأعتقد أن هذا الموضوع لا بد أن يحسم قبل أن يستفحل أمره, وبعدها نجد أنفسنا عاجزين أمام هذه الإذاعات, لأنها ستصبح إمبراطوريات لا يمكن ردعها, وأظن أن الوقت أصبح مناسباً لدق ناقوس الخطر, قبل أن يفوت الأوان ونجد أنفسنا عبيداً لهذه الفضائيات, تتحكم بمصايرنا وتسير عقولنا لخدمة أغراضها وخدمة أغراض العدو الذي يتربص بنا ولن يتركنا حتى نصبح موالين له بكل ما فينا من عقول, وثقافات, وديانات, وثروات, وسيادة.

فأنهضي يا أمة فالخطر بات وشيكا....وتنبه يا أيها المواطن العربي المسلم فأنت الهدف.